ابن زيدون وسِجنِيَّاته في الأدب الأندلسي

(The 'Prison Poetry' of Ibn Zaydūn in the Andalusian Literature)

مسرت جمال*

سيد سيار علي شاه**

Abstract

Abu 'l-Walīd Aḥmad b. Zaydūn al-Makhzūmi (1003-1071) known as Ibn Zaydūn was a famous Arab poet of Cordoba and Seville. His romantic and literary life was dominated by his relations with the poetess princess Wallādah, the daughter of the Umayyad Caliph al-Mustakfi. Although Ibn Zaydūn was a leading figure in the courts of Cordoba and Seville, he was most famous among the people of his day because of his scandalous love affair with Princess Wallādah. Ibn Zaydun's prestige, as the leading poet and the lover of the most beautiful woman of Cordoba, awakened much jealousy among his rivals, such as Ibn 'Abdūs, the Caliph's Vizir, who created a venomous intrigue aimed at destroying his enemy's friendship with the Caliph and also his romance with Wallādah. Although the Caliph was fond of Ibn Zaydūn, the scandal reached such proportions that he had him thrown into prison, and later exiled him to Seville. The hapless poet languished in the prison, far from the gardens of the great palace, *Madīnat al- Zahrā*, and he passionately missed his beloved Princess. In this gloomy situation he wrote poetry beyond the doors of prison known as *adab al-Sujjūn*. The following article is a short analysis of this 'prison poetry' of Ibn Zaydūn along with his biography.

ولد أبوالوليدأحمد بن عبدالله بن زيدون في 422هـ في أسرة كريمة في الأندلس و له مساهمة عظيمة في الشعر والأدب مع وظيفة الوزارة الحكومية في الأندلس في عهد أبي الحزم بن جهور. كان يقول في الثناء الحسن أشعاراً عديدةً في أبي الحزم بن جهور وأسرته الكريمة وكان من موضوع أشعاره وُلاَّدة بنت المستكفي أيضاً لأنّه كان يحبها حب الشغف، وألقاه ابن جهور في الحبس

* الأستاذة المشاركة بمعهد الدراسات الإسلامية واللغة العربية – جامعة بشاور

** الباحث في مرحلة الدكتوراه بمعهد الدراسات الإسلامية واللغة العربية – جامعة بشاور.

لخمسمائة يوم وذلك ان ابن عبدوس وزير ابن جهور يحب وُلاّدة بنت المستكفي كما أحبّها ابن زيدون وكل من هذين يريدان أن يقرب نفسه إليها ونفسها إليه ففي هذه الأثناء كتب ابن زيدون مكتوباًمليئاًبالإهانة إلى ابن عبدوس من قِبل وُلاّدة، فازدادت نار الحب من ناحيّة ونار الرقابة من ناحيّة أخرى فتشاور ابن عبدوس مع الأصدقاء والإخوة وجمع بينهم على خلاف ابن زيدون حتى اتّهم الشاعر بإختلاس رجل ذمى وبالخيانة العظمى، ومع ذلك أنّه يحوك الدسائس لِنزع السلطة عن الجهور وإرجاعها إلى بنى أميّة، حتى ذهبوا إلى ابن جهور ووسوس له الوساوس الموضوعة من قِبلهم إلى أن أدخلوا فيه وفي قلبه وجوارحه البغض عليه والشحناء وأوصلوه إلى درجة العداوة فحكم ابن جهور بحبس ابن زيدون حبساً شديداً فحبسه خمسمائة يوم وليلةٍ. عندما كان في الحبس كتب مكتوباً باسم "الرسالة الجِدّيّة " والأشعار المختلفة لِلاستعطاف والترحُّم عليه، لكنّ ابن جهور ما سمع منه شيئاً ولا التفت إليه التفاتاً كريماً بحيث يُخرج له مخرجاً.

لما علم وتيّقنّ انَّهم ما فعلوا شيأً فزعم أن يّفر من السجن فيوماً من الأيّام فرَّ من السجن فراراً مختفياً ٌأو خرج بشفاعة وليد بن جهور إلى أبيه ، فبعد الخروج ذهب إلى إشبيلية وقام تحت ظِّلِ صاحب ابن عباد حتى أخذ وليد زمام الدولة بعد وفاة أبيه فرجع الشاعر إلى قرطبة ونعَّم عليه وليد نعمةً واسعةً.

جمعت قصائد ابن زيدون المسّمى" باالسجنيَّات ابن زيدون" في هذا المقال وهي القصائد الّتى كتبها ابن زيدون خلف القضبان وأرسلها إلى ابن جهور ووُّلاَّدة بنت المستكفي ومع ذلك من السجنِّيّات الأخرى ورتبتها حسب الترتيب الأتي:

1. اسمه ومولده وأسرته

هو أبوالوليدأحمد بن عبدالله بن زيدون[1] الأندلسي[2] القرطبي[3]ولد بمدينة قرطبة سنة394هـ1003م ينتهي نسبه إلى قبيلة مخزوم القرشية،كان أبوه قاضيا في قرطبة صاحب الثروة غزيرالعلم والأدب،

قال ابن زيدون:

عليك أبابكر بكرت ... بهمة لها الخطرالعالي وإن نالها حط
أبي بعدما هيل التراب على أبي ... ورهطي فذا حين لم يبق لي رهط[4]

وكانت وفاة والده سنة405هـ؛كان إبن زيدون في الحادية عشرة من عمره عندوفاة والده[5].

قد ذكر ابن زيدون أمه مرةً في الشعر وأخرى في رسالته التى أرسلتها إلى بكر بن مسلم عندما زارته في السجن فبكت فقال قصيدته[6] :

ألم يأن أن يبكى الغمام على مثلى
ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل؟[7]

كما ذكرها في رسالته إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم التي يقول فيها: ''وقد هجرت الأرض التي هى ظئري والدار التي كانت مهدي وغبت عن أم أنا واحدها ،،[8].

مات ابن زيدون سنة 463هـ[9] وذكرأحمد حسن الزيّات[10] تاريخ وفاته 462هـ[11] ونقل الصفدي عن ابن بشكوال أنه قدمات سنة 465 هـ[12]

2.الأدب الأندلسي و ابن زيدون

قال أحمد حسن الزيات''كان ابن زيدون صاحب الثروة لأنَه عند ما مات والده عاش تحت جناح جده لأمه الذي كان من قضاة قرطبة،،[13]

كان ابن زيدون شاعراً وأديبا،أنشد الأشعار والقصائد في أغراض متعددة من الغزل والمدح والاستعطاف، والشكوى، والرثاء، ومع ذلك كتب في النثر رسالتين أي الرسالة الجدِّية والهزليَّة، والرسالة الهزلية تتصل بحياته العاطفية وما اشتملت عليه من حب ومنافسة، والرسالة الجدَية تتصل بحياته السياسية وما رافقها من سجن و استعطاف، قال الدكتور جودت ركابى " إنّ أهل النقد أصدروا قولاً جميلاً في ابن زيدون على أنّه شاعر نبيل ، أحسن التعبير أدباً، وديباجته الشعرية حسب مقتضى الذوق الأِدبى، وكان من الطبقة الأولى بين الشعراء الأندلسين[14].

قد أعجب الأدباء والكتاب منذ القديم بروعة نظمه ورونق أساليبه، ووجدوا لشعره موسيقا فيها الخفة والرشاقة فشبهواه بالبحتري، قال الدكتور شوقى ضيف''ابن زيدون من أعلام الشعر والنثر في الأندلس،،[15]

3. سبب دخوله في السجن

يتولى أبو الحزم جهورمقاليد الحكم وجعل ابن زيدون حكما شوريا ديموقراطيا من خلال مجلس كان يشاوره في سياسته، وتدبيرشؤون حكمه،وأكبرالظن أنَ ابن زيدون كان ممن انتظمواحوله في حاشيته، ودُس عليه حوالى سنة 430هـ أنَه يشترك في مؤامرة ضد ابى الحزم جهور،وتصادف أن أتَهم بالإستيلاء على عقارلبعض مواليه،وزجَ به أبو الحزم في السجن،واستعطفه برسالته الجدِّية وقصائده المختلفة ،لكنَ ما سمع عنه قطَ حتى إلى أن توَسط له ابنه أبو الوليدفأمر أبوالحزم بحريَته''[16]

كتب ابن زيدون الرسالة[17] يستعطف بها أباالحزم جهورأميرقرطبة حين ألقاه في غياهب السجن ووراء قضبانه،لما قيل من نهبه عقارا لبعض مواليه''[18]

قال جودت الركابي''أنَ ابن زيدون كتب إلى ولاَدة رسالته الهزلية يسخر فيها على لسانها من ابن عبدوس ويتهكم عليه ويعبث به ويهجوه، لكنَ ولاَدة لم تفعل ذالك بل غضبت عليه وتهجوه ببيتين هجاء فاحشا، ويعظم الخلاف بينهما وتحتدم العداوة بينه وبين منافسه ابن عبدوس، وهذه العداوة الَتى كَانت سبباً لدخول الشاعرفي السجن [19]

فال أيضا ''لانعلم كثيراً ماَّ من الأسباب الأصلية لِدخوله في السجن ،لكنَّ بعض المؤرخين يقولون'' أنَّ ابن زيدون كان على ثورة أبي الحزم بن جهور، ثُمّ رُفعت هذه القضية إلى القاضى أبى محمد عبدالله بن أحمد المعروف بأبن المكوى،الّذى ولى قضاء قرطبة، عندما عرضت قضيته عليه أمربسجنه بغير التأجيل، فإذا افترضنا أنَ هذه المحاكمة قد جرت في السنة الَّتى ولى ابن المكوى قضاء قرطبة يكون الشاعر قد دخل السجن وعمره ثمانية وثلاثون عاما''[20]

أنَ قصة محاكمته تأخذ شكلا آخر عندما يرويها ابن بسام[21] ويروي أنَ السبب المباشرلسجنه التهمة التى الصقت به وتتلخص في أن ابن زيدون قد حاول إستغلال إرث أحد الأسياد بعد وفاته، فكان أن قيد إلى المحاكمة، فحكم عليه القاضي ابن المكوى بالسجن،إلاّ ابن زيدون يدفع هذه التهمة عن نفسه في رسالة أرسلها إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم[22] ، وهو مختف بقرطبة بعد هربه من السجن،ويثبت فيها أنَ السيد كان لا يملك شيئا حتى يستطيع أن يكسب إرثه "[23]

قال الصفدي[24] إن ابن زيدون ارتحل من قرطبة إلى المعتضد بن عباد ،فأخصّه لنفسه ورُفع ذكره في مجالس الوزراء وكان يتشاورمعه في أكثرالأمور،شخصيَّته كالوزيرعند الملك وكان ابن زيدون فرغ نفسه إلى ابن جهور،كان من الطوائف الّذين ظهرواعلي الأندلس, فتنمي القوم و تحيروا اليه لبراعته، وحسن أخلاقه و سيرته، فاتفق أنَّ◌َ◌َ◌َ◌َ غضب ابن جهور على ابن زيدون فحبسه"[25]

قال بطرس البستانى[26] في كتابه ''إشتغل ابن زيدون بالأدب ونقب عن دقائقه إلى أن برع وبلغ من صناعة النظم والنثر، وانقطع إلى أبي الحزم بن جهور أحد ملوك الطوائف[27] بالأندلس وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أنَ ابن جهور نقم عليه أمره فحبسه،،[28]

قال أيضا في كتابه أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، ''"أرسل إلى ولادة الوزير ابن عبدوس مرة إمرأة تستميلها إليه ، وتذكرلها محاسنه ومناقبه وترغَبها في التفرَدبه،فبلغ ابن زيدون ذلك، فكتب عن لسانها رسالته الشهيرة في أبى عامر والتهكم عليه ، وأرسلها إليه من قبل ولاَدة..........وأفضت الحال بين الرجلين إلى عداء شديد،فأخذ ابن عبدوس يسعى بمنافسه لدى أبي الحزم بن جهور، وشدَ ساعده جماعة من الواجدين على ابن زيدون،يذكرمنهم ابن حيَان عبدالله بن أحمد ابن المكوى أحد حكَام قرطبة،فاتَّهموه بالخيانة العظمى،وزعموا أنَه يحوك الدسائس لنزع السلطة عن الجهورية وإرجاعها إلى بنى أمية– فغضب أبو الحزم عليه وأمر به إلى السجن ، فقضى فيه زمنا يبعث بالقصائد إلى الأمير يمدحه ويسأله إطلاق سبيله ،فلا يجيبه ، فتحيل لنفسه حتَى فرَ من سجنه،،[29]

يرى بعض الباحثين أنَ الشاعر أودع السجن مرتين ، لكن الرأي الصائب أنه لم يسجن إلا مرة واحدة في عهد أبي الحزم بن جهور"[30]

''كان الوزير أبوعامربن عبدوس ينافس ابن زيدون على قلب ولاَدة،فاغتنم الجفوةوراح يتوَدد إليها، مما جعل الغيرة تدبَ إلى قلب الشاعر......فاشتدَ العداء بين الرجلين واستطاع ابن عبدوس مع أعوانه أن يوقع بين ابن زيدون وابن جهورالذى اتَّهم الشاعرباختلاس رجل ذميٍ وبالخيانة ،فسجَنه ولم تنفع قصائد الاعتذار،قد ففرَ ابن زيدون من السجن.،،[31]

4. السجن لغة واصطلاحاً، وتعريف أدب السجون

السجن لغة

السجن أي الحبس[32]، قال خليل بن أحمد الفراهيدى[33]، السجن، البيت الذى يحبس فيه، السجين،فعيل من السجن،واد في جهنم[34]

السجن، أي الصلب الشديد من الشيء[35] ، بمعنى الدائم والصلب الشديد[36]

أما السجن بفتح السين فهومصدرالفعل سجن،[37]

''الحبس'' ضد التخلية،[38]

السجن بمعنى الحبس،وهوفي اللغة المنع[39]

السجن اصطلاحا

''السجن هو الموضع الذى تنفذ فيه الاحكام على الاشخاص المذنبين، حيث يتم اعتقالهم لمدة معينة، أو مؤبدة أو لتنفيذ عقوبة الاعدام،والسجون غالبا أماكن خرجة ضيقة، وليس من لوازم السجن او الحبس جعله في بنيان خاص،بل الربط بالشجرة حبس، والجعل في البيت حبس''[40]

قال بطرس البستانى : ''السجن أو الحبس ، هو المحبس،وهو المكان يحبس فيه الذين يحكم بارتكابهم الذنوب وإقتراف الجرائم التى تستوجب السجن''[41]

السجن الشرعى

السجن الشرعى فهو ليس السجن في مكان الضيَق فحسب،إنَما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد،أو يتولى الخصم،أو وكيله،ملازمة له،ولهذه أسماه النبى صلى الله عليه واله وسَلم أسيرا،فليس من لوازمه ان يجعل في بنيان خاص معَد لذالك"[42]

''أنَ على رضى الله عنه بنى سجنا وهو أول من بناه في الإسلام وسماه نافعا ولم يكن حصينا لكونه من القصب فانفلت الناس منه فبنى اخروسماه مخيسا وكان من مدر''[43]

تعريف أدب السجون

أدب السجون مصطلح من العلوم والفنون والنثر والشعر والكتابة والرسائل الَتى ألِفت في السجن،''السجنيات هى تلك القصائد التى كتبها أصحابها خلف القضبان ، مفردها ''السجنية''.[44]

''السجنيات هى تلك القصائد التى كتبها أصحابها خلف القضبان ، مفردها "السجنية" وهى كل قصيدة كتبها صاحبها في سجنه ، فيقولون سجنية على بن جهم،سجنية المتنبى، وقد تجاوز البعض في عصر الحديث واستخدم مصطلح السجنيات لكل أدب يكتب داخل السجون سوآء كان قصة أم رواية أم نصا أدبيا يصوَر معاناة صاحبه وأشواقه و صراعات جوانحه"[45]

أدب السجون هو مصطلح أدبى' يعّبر الشاعر والأديب عن ماحوله وما في ضميره بأشعاره ونثره سوآء كان هو في حبس البيت أو السجن أو غير ذالك من الحبس الّذى لا يحِّس الشاعر والأديب فيه بالحرّية [46]

''ينقطع السجين عن العالم الخارجى ، وينطوى على أحزانه فتتوالد عنده الهموم والآلام ، والحنين والأشواق،وتترجح نفسه بين الأمل والرجاء ،وبين القنوط واليأس فيبث ذالك في شعرهم معبرا عما يجيش في نفسه من جوانب عاطفة في قصائد الشعراء المساجين كثير من الاشارات التى تدل على أحوال السجون ويندر وجود قصيدة خالصة في هذا الغرض ،ومع ذالك يعَد وصف الحبس غرضا من أشهر أغراض ادب السجون'' [47]

قال أيضا: ''ربما كان سبب ذالك طبيعة حياة السجين أو المأسور،تللك الحياة القلقلة المضطربة حيث كان يعيش تحت هاجس الموت،ويتعرض للعذاب،فلايعقل،وهو على هذا الحال أن ينصرف إلى نظم القصائد الطويلة التى تتلاءم عمود الشعر القديم ، وقد يكون طبيعا أن تنتج مثل هذه الحياة لونا من الفن السريع الذى يسجل فيه الشاعرما يضطرب في نفسه من مقطوعات قصيرة موجزة وهى موافقة للخواطر والمشاعرالَتى تلَم بالأسير او السجين،فيصوغها في أبيات موجزة معَبرة واضحة الغرض 'توضح العبارات المذكورة تعريف أدب السجون من ناحيات شَتى-''[48]

سجنيات ابن زيدون

القصائد التى أنشدها ابن زيدون خلف قضبان السجن ووراء الأبواب السوداء هى مما يلى:

قد نظم الشاعر أثناء سجنه عدَة قصائدجميلة تغلب عليها رنّة الإستعطاف والحنين والعتاب منها:

السجنية الأولى

هذه قصيدة التى نقرأ فيها هذه الأبيات فنعلم أنَ بياض الشيب قد وخط عارضيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يبلغ ثلاثين ربيعا،قال جودت الركابى أنَ قصبدة التى مما يلى قد كتبها إلى أبى الحزم بن جهور في السجن فيقول:

محض العيان الذى يغنى عن الخبر　　من يسأل الناس عن حالى فشاهدها
برق المشيب اعتلى في عارض الشعر　　لم تطو برد شبابى كبرة وأرى
و للشبيبة غصن غير مهتصر　　قبل الثلاثين إذ عهد الصِبا كثب
نار الأسى و مشيبى طائر الشرر　　ها إنَها لوعة في الصدر قادحة
أنىَ معَنى الأمانى ضائع الخطر　　لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره
أم الكسوف لغير الشمس و القمر　　هل الرياح بنجم الأرض عاصفة
قد يودع الجفن حدَ الصارم الذكر　　إن طال في السجن إيداعى فلاعجب
عن كشف ضرِى فلا عتب على القدر　　وإن يثبط أبا الحزم الرِضا قدر
غيرى ، يحملنى أوزارها وزرى؟　　ما للذنوب، التى جانى كبائرها
ولم أزل من تجنِيه على حذر　　من لم أزل من تأنيِه على ثقة
والجانب السهل و المستعتب اليسر　　ذو الشيمة الرسل إن هيجت حفيظته
شؤم الحروب ورأى محصد المرر　　وزير سلم كفاه يمن طائره
و نابت اللمحة العجلى عن الفكر　　أغنت قريحته مغنى تجاربه
ففيم أصبحت منحطا إلى العفر　　قد كنت أحسبنى و النجم في قرن
غرس له من جناه يانع الثمر　　أحين رفَ على الافاق من أدبى
فهو الوداد صفا من غير ما كدر　　وسيلة سبب إلا تكن نسبا

وشى المحاسن منه معلم الطرر	و بائن من ثناء حسنه مثل
إلا خفاء نسيم المسك في الصرر	يستودع الصحف لا تخفي نوافجه
وهجرة في الهوى أولى من الهجر	لى في اعتمادك بالتأميل سابقه
وحاص بى مطلبى عن وجهة الظفر	ففيم غضَت همومى من علا هممى
إلى العذوبة من عتباك والخصر	هل من سبيل، فماء العتب لى أسن
إن أسفرت لى عنها أوجه البشر	نذرت شكرك لا أنسى الوفاء به
ردَ الصِبا بعد إيفاء على الكبر	لا تله عنى فلم أسألك معتسفا
لا عذر منها سوى أنِي من البشر	هبنى جهلت فكان الصنع سيِئة
بماءها ، وبماء الحسن في الخفر	إن السيادة بالإغضاء لا بسة
جذلان بالوطن المألوف والوطر	فاشفع أكن مثل ممطور ببلدته
ظلاً حراما على الآفات والغير	والبس من النعمة الخضراء أيكتها
نعمت بالخلد في الجنات والنَهر[49]	نعيم جنَة دنيا إن هى انصرمت

السجنية الثانية

بعث هذه القصيدة ابن زيدون من سجنه إلى أبي الحزم بن جهور يمدحه بها:

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر	إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف	إلاَ على ليلة سرَت مع القصر
في نشوة من سنات الوصل موهمة	أن لا مسافة بين الوهن والسحر
منى ،كأن لم يكن إلا تذكرها	إنَ الغرام لمعتاد مع الذكر[50]

السجنية الثالثة

يذكرفيها السجن وما واجهه فيه من الصعوبات والمشاكل:

ألم يأن أن يبكى الغمام على مثلى	ويطلب ثأرى البرق منصلت النَصل
لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلى	و هلاَ أقامت انجم الليل مأتما

ومثلى قد تهفو به نشوة الصبا ومثلك من يعفو وما لك من مثل
أشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى وإنى لتنهانى نهاى عن التى
أأنقض فيك المدح من بعد قوَة فلا أقتدى إلا بناقضة الغزل
ذممت إذا عهد الحياة ولا يزل ممرًا على الايام طعمهما المحلى
لمهدى إلى السودد الخنا وما كنت با ولا بالمسىء القول في الحسن الفعل
وما لى لا اثنى بلآء منعم إذ الروض أثنى بالنسيم على الطَل
هى النعل زلَت بى فهل أنت مكذب لقيل إلأعادى إنَها زلَة الحسل
ألا إنَ ظنى بين فعليك واقف وقوف الهوى بين القطعية والوصل
منك الأمانى فشيمة فان تمن لى لذالك الفعال القصد والخلق الرَسل
وإلا جنيت الأنس من وحشة النَوى وهول السُرى بين المطية والرحل
منى حافظ سيعنى بما ضيَعت ويلقى لما أرخصت من خطرى مغلى
وأين جواب منك ترضى به العلا إذا سألتنى عنك لسنة الحفل[51]

السجنية الرابعة

قال شوقى ضيف،تغنى ابن زيدون مرارا بأمراء قرطبة بنى جهور ،ولما ظنَوا أنَه مشترك في مؤامرة ضِدهم وزجُوا به في غياهب السجن أخذ يعتذر إليهم وردَت إليه حريته ، فالتحق بالمعتضد بن عباد أمير إشبيلية بمثل قوله:

جنانى فما بال المدائح تعبق بنى حهور أحرقتم بجفائكم
تظنوننى كالعنبر الورد إنَما تطيب بكم أنفاسه وهو يحرق[52]

السجنية الخامسة

أرسل ابن زيدون من سجنه الرسالة الجدِية إلى ابن جهور يستعطفه فيها وأرسل معها قصيدة يمدحه بها ويستعطفه بها، ويبدوفيها الشاعر شاكيا يريد أن يدفع عنه التهمة الَتى أودت به إلى السجن ،وقد ذكر في هذه القصيدة أنَه مكث في السجن خمسمأة يوم فقال:

الهوى في طلوع تلك النجوم | والمنى في هبوب ذاك النسيم
سَرنا عيشنا الرقيق الحواشى | لو يدوم السرور للمستديم
ومتى يبدأ الضيعة يولعك | تمام الخصال بالتتميم[53]

السجنية السادسة

يهجو فيها أبا الحزم:

قل للوزير ، وقد قطعت بمدحه | زمني، فكان السجن منه ثوابي
لا تخش في حقى بما أمضيته | من ذاك في ، ولا توقَ عتابي
لم تخط في أمرى الصواب موفقا، | هذا جزاء الشاعر الكذَاب[54]

سجنيات ابن زيدون وهو يتشَوق معاهد قرطبة

السجنية الأولى

ومن مخمَسات ابن زيدون قصيدة قالها وهو مسجون يذكر قرطبة ، وأيَام لهوه فيها ، ويصف نفسه في السجن فيفاخر معتزا به ، منها قوله:

أ قرطبة الغراء ،هل فيك مطمع ؟ | و هل كبد حرَى لبينك تنقع
وهل لياليك الحميدة مرجع ؟ | إذ الحسن مرأى فيك والحسن مسمع
وإذ كنف الدنيا لديك موطَأ
تنشَق، من عرف الصَبا،ما تنشَقا | و عاوده ذكر الصَبا فتشوَقا
وما زال لمع البرق ، لِما تأَلقا | يهيب بدمع العين حتى تدفَقاَ
وهل يملك الدَمع المشوق المصبَأ
خليليَ،إن أجزع ،فقد وضح العذر | وإن أستطع صبرا،فمن شيمتي الَصبر
وإن يك رزءأ ما أصاب به الدهر | ففي يومنا خمر، و في غده أمر
ولا عجب ، إنَ الكريم مرَزأ
رمتنى اللَيالى عن قسيَ النوائب | فما أخطأتني مرسلات المصائب

أقضَي نهاري بالأماني الكواذب وآوى إلى ليل بطيء الكواكب
وأبطأ سار كوكب بات يكلأ

فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك ؟ اليس عجيبا أن تشط النوى بك
ولم يلتئم شعبي خلال شعابك ولم يك خلقى ، بدؤه من ترابك
ولم يكتنفنى ، من نواحيك ،منشأ

نهارك وضَاح ، وليلك ضحيان وتربك مصبوح،وغصنك نشوان
وأرضك تكسى،حين جوُك عريان وريَاك روح، للنفوس ، وريحان
وحسب الأماني ظلُك المتفيَأ

أأنسى زمانا بالعقاب مر فلا وعيشا بأكناف الرُصافة دغفلا
ومغنى ، إزاء الجعفريَة ، أقبلا لنعم مراد النَفس روضا وجدولا
ونعم محلُ الصَبوة المتبوَأ

ويا رب ملهى بالعقيق ، ومجلس لدى ترعة ، ترنو بأحداق نرجس
بطاح هواء مطمع الحال مؤنس مغيم ولكن،من سنا الرَاح ،مشمس
إذا ما بدت ، في كأسها ، تتلألأ

وقد ضمَنا،من عين شهدة ،مشهد بدأنا وعدنا فيه ، والعود أحمد
يزفَ ،عروس اللَهو ، أحورأغيد له مبسم عذب ، وخدٌ مورَد
وكف، بحناء المدام، تقنَأ

وكائن عدونا،مصعدين،على الجسر إلى الجوسق النَصري، بين الرُبى العفر
ورحنا إلى الوعساء من شاطىء النهر بحيث هبوب الريح ، عاطرة النشر
علا قضب النَوار، فهيَ تكفَأ

وأحسن بأيَام ، خلون ، صوالح بمصنعة الدُولاب ، أو قصر ناصح
تهزَ الصبا ، أثناء تللك الأباطح صفيحة سلسال الموارد سائح
ترى الشمس تجلو نصلها حين يصدأ

ويا حبَذا الزهراء ، بهجة منظره ورقَة أنفاس، و صحَة جوهر

و ناهيك من مبدا جمال ومحضر و جَنة عدن تطَيبك و كوثر
بمرأى يزيد العمر، طيبا ، وينسأ
معاهد ، أبكيها ، لعهد تصرَما أغضَ ، من الورد الجنيِ وأنعما
لبسنا الصبا فيها حبيرا منمنما وقَدنا، إلى اللَذَات ، جيشا عرمرما
له الأمن ردء، والعداوة مربأ
كساها الَربيع الطَلق وشي الخمائل وراحت لها مرضى الرَياح البلائل
وغادى بنوها العيش، حلو الشمائل ولا زال منَا ، بالضَحى والأصائل
سلام ، على تلك الميادين ، يقرأ
أ إخواننا للواردين مصادر ولا أوَل إلاَ سيتلوه آخر
وإنى ،لإعتاب الزَمان ، لناظر فقد يستقيل الجدُ ، والجدُ عائر
وتحمد عقبى الأمر ما زال يشنأ
ظعنت ، فأن الحرُ يجفي فيظعن وأصبحت أسلو بالأسى،حين أحزن
وقرَ،على اليأس، الفؤاد الموطَن وإنَ بلادا ، هنت فيها ، لأهون
ومن رام مثلي بالدَنيَة أدنأ
ولا يغبط ،الأعداء ،كوني في السجن فإنِي رأيت الشمس تحصن بالدجن
وما كنت إلا الصارم العضب في جفن أوالليث في غاب،أوالصقرفي وكن
أوالعلق يخفي ، في الصوار، ويخبأ
يضيق ، بأنواع الصَبابة ، مذهبى إلى كلِ رحب الصَدر،منكم مهَذب
مفضَض لألأء الأسارير ، مذهب ينافس ، منه البدر ، غرَة كوكب
درى أنَها أبهى سناء ، وأضوأ
أسفت ، فما أرتاح ، والرَاح تشمل ولا أسف الأوتار ، وهى ترَسل
ولا أرعوي عن زفرة ، حين أعذل ولا لي ، مذ فارقتكم ، متعلَل
سوى خبر منكم ، على النَأى ، يطرأ
حمدتم ، من الأيَام ، لين خلالها وسرَتكم الدُنيا بحسن دلالها

مؤمنَة من عسفها و ملالها ولا زال منكم ،لابس من ظلالها
يسوَغ أبكار المنى ، ويهنَأ[55]

سجنيات ابن زيدون إلى أبي حفص[56] بن برد:

نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ، وهو في السجن ، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد.قال:

ما على ظنيِ باس يجرح الدهر ويأسو
ربَما أشرف بالمر ء، على الآمال ، ياس
ولقد ينجيك إغفا ل ويرديك احتراس
واغتنم صفو اللَيالى إنَما العيش اختلاس
وعسى أن يسمح الدَهر فقد طال الشَماس[57]

سجنية ابن زيدون إلى محبوبته ولاَدة بنت المستكفي

قد نظم ابن زيدون هذه القصيدة الرقيقة القصيرة التى نقرأ فيها هذه الأبيات فيخيل لنا أنَها قيلت في السجن وابن زيدون لا يستطيع أن يطير إلى محبوبته ولاَدة،قال:

إليك، من الأنام، غدا ارتياحى وأنت،على الزَمان،مدى اقتراحى
وما اعترضت هموم النَفس إلاَ ومن ذكراك ، ريحانى وراحي
فديتك، إنَ صبري عنك صبرى لدى عطشي ،على الماء القراح
ولي أمل ، لو الواشون كفُوا لأطلع غرسه ثمر النَجاح
فؤادى، من أسى بك ،غير خال وقلبي ،عن هوى لك،غير صاح
وأن تهدي السَلام أليَ غبًا ولو في بعض أنفاس الرِياح[58]

الحواشي والتعليقات

[1]- البستاني بطرس،دائرة المعارف،مطبعة الادبية بيروت،1887م،ج/1،ص/496

- جودت الركابي،في الادب الاندلسى، دارالمعارف بمصر،1960م،ص/163

- زيات أحمد حسن،تاريخ الادب العربي،قديمى كتب خانه كراتشى،باكستان،2006م،ص/240

- البستاني بطرس،أدباء العرب في الاندلس وعصرالإنبعاث،دار نظيرعبود،بيروت،ص/ 114

[2]**– الاندلس**:أطلق العرب إسم الاندلس على جميع البلدان الاسبانية التى فتحوها،وكان لايعرف به غير اقطاعة الفندال التى أبحر منها جماعة الفنداليين في هجرتهم إلى إفريقية،فسميت بإسمهم، وقيل لها فنداليسيا،وهى أول أرض وطئها العرب من أسيانية،وعرفوا إسمها،فحرفوه فقالوا"

الاندلس"أنظر: البستاني بطرس،أدباء العرب في الاندلس وعصرالإنبعاث/ ص/9،=أنظر:هيكل أحمد،الادب الاندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة،دارالمعارف بمصر،1993م ،ص/16

[3]**–قرطبة**:قرطبة بمعنى "القرية الطيبة"وإسمها الاسبانى القديم "كوردوبة"كوَنت منها إسمها فرطبة ، قرطبة مدينة التى فتحها طارق بن زيادعندما غارالمسلمون على الاندلس،........ مدينة قرطبةكانت تشتملت بأحد وعشرين حيَات وكل منها بناء بالآسواق والمساجد......لها سبعة ابواب وهى :

القنطرة،جزيرةالحضراء،الحديد،طليرة،عامرالقرشيَ،الجوز،الحطارين" أنظر: محمد عنايت الله، أندلس كا تاريخى جغرافية/مقتدره قومى زبان،اسلام اباد باكستان،1986م،ص/344

أنظر: جودة هلال،محمد محمود،قرطبة في تاريخ الاسلامى،دار العلم الملائين،بيروت،1986 م ،ص/140

[4]–ديوان ابن زيدون،دارالكتاب العربي،بيروت،1994م،ص/156

[5]- في الادب الآندلسي،ص164،نفح الطيب،ج /6،ص/168،النصوص الادبية،ج/1،ص/116

[6]- الذخيرة،1-1/354، في الادب الآندلسي،ص164

[7]- ديوان ابن زيدون،دارالكتاب العربي،بيروت،1994م،ص/239

[8]- الذخيرة،1-1/354، في الادب الآندلسي،ص164

[9]- في الادب الآندلسي،ص164

[10]- أحمد حسن زيّات،هوأديب من كبَار الكتاب مصري ولد بقرية كفردميرةالقديم،سنة1885م ودخل الأزهر قبل الثالثة عشر،وفصل قبل إتمام دراسته،وعمل في التدريس الآهلي،فعلَم العربية في مدرسة"الفرير"نحو سبع سنوات،وتعلَم مدَة في مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة ودَرس الادب العربى في المدرسة الاميركية بالقاهرة سنة 1968م،وحِمل إلى قريته فدفن فيها –أنظر:عدنان خطيب،مجلة مجمع اللغة العربية،دمشق،ص/43

-أنظر:مهدى علام، مجلة مجمع اللغة العربية،قاهرة،ص/24

-الزركلى،خيرالدين،الأعلام، دار العلم الملائين،بيروت،ط/2002،15م،ج/1،ص/114

[11]- زيات أحمد حسن،تاريخ الادب العربى،قديمى كتب خانه كراتشى،باكستان،2006م،ص/240

[12]-الصفدى،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية بيروت،1969م،ص/21

[13]- الذخيرة،1-350/1

[14]- في الادب الآندلسي،ص164

[15]- شوقى ضيف، عصرالدول والإمارات الاندلس،دارالمعارف قاهرة،ص/282

[16]- شوقى ضيف،عصرالدول والامارات الاندلس،دارالمعارف قاهرة،ص/282

تاريخ الادب الاندلسى،ص/98

[17]- الرسالة الجدِية

[18]- نفس الكتاب،ص/ 468

[19]- في الادب الاندلسى،172،النصوص الادبية،ج/1،ص/115،أنظر:ريمة برقرق، شعرية الفضاء المغلق،رسالة ماجستير،كلية الاداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر الجمهورية الجزائر،8-2009م ،ص/ 38

[20]- في الادب الاندلسى،175

[21]- الذخيرة1-338/1

[22]- نفس الكتاب 355، أنظر: قدَام سعيدة، من شعراء الغزل في الاندلس، مجلة الذخائر، الجزائر، 2002م،ص80

[23]- في الادب الآندلسي،ص176

[24]- هو خليل بن ايبك الصفدى، ولد في دمشق سنة ست و تسعين وست مأة، حفظ القران في صغر سنه و قرأ على علماء عصره إلى أن برع وسار في الرسئل والنظم والنثر،كتب و سمع من العلماء في قاهرة،وكان بينه وبين علماء عصره وأدباءه مكاتبات و مراسلات كالحافظ أبي الفتح،جمال الدين ابن نباتة وغيرهما. أنظر: مقدمة تمام المتون، ص/6، الاعلام ج/2، ص/315

[25]- الصفدي ، خليل بن ايبك،تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ،تحقيق،محمد ابو الفضل ابراهيم ،المكتبة العصرية بيروت، 1969م،ص/6، أنظر: عنانى مصطفي،إظهار المكنون من الرسالة الجدية لإبن زيدون، مطبعة الرحمانية مصر،1927م،ص/32

[26]- **بطرس البستانى**: بطرس بن يولس بن عبدالله ،ولد في قرية جنوبى بيروت،درس العربية و السريانية على الخورى ميخائيل البستانى ،مات 1870م، له اثار كثيرة أهمها: محيط المحيط ، بلوغ الأرب في نحو العرب، قطر المحيط ،اداب العرب شرح ديوان المتنبى، دائرة المعارف، تعليم النساء،أنظر:معجم الادباء،ج/1،ص/471، الأعلام،ج/2، ص/58

[27]- ملوك الطوائف: بدأ روؤس الطوائف يستقلون بالإمارات التى يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف ، قد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة ، ومن أهم هذه الدويلات ،الدولة الزيرية ،الحمودية،الهودية،العامرية،العبادية،بنى الأفطس،الجهورية،و دولة ذى النون. أنظر: في الأدب الأندلسى،ص/23، أنظر: كامل كيلانى،ملوك الطوائف،ص/7،

أنظر: ادباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث،ص/23

[28]- البستانى بطرس، دائرة المعارف، ج/1، ص/496

[29]- البستانى بطرس، ادباء العرب وعصر الإنبعاث، ص/119

[30]- تاريخ ادب اندلسى،ص/ 99

[31]- فرحات ،يوسف، شرح ديوان إبن زيدون، دار الكتاب العربى ، بيروت، لبنان،1994م، ص/15

[32]- ابن منظور،لسان العرب،دار صادربيروت، ج/13،ص/203

انظر: جبران مسعود،الرائد،دارالعلم للملايين،1992،ص/433

[33]- **خليل بن أحمد**:ولد في مدينة عمان من بطن فرهودسنة100هـ،لم يبرز الخليل في العلوم اللسانية {نحو،لغة،شعر}فحسب،بل كان له دراية واسعة بالعلوم الشرعية والعلوم الرياضية وأكثر من هذا كان بارعا في الموسيقى والنغم. أما مؤلفاته: النقط والشكل،النغم،العروض،الشواهد،الإيقاع،الجمل،أنَه قد مات سنة 170هـ، أنظر: مقدمة كتاب العين، مرتبه الهنداوى عبدالحميد، ج/1،ص/9-10

أنظر: الزركلى،خيرالدين،الاعلام،دارالعلم للملايين،2002م، ج/2 ، ص/314

[34]- الفراهيدى،خليل بن أحمد، كتاب العين، مرتبه الهنداوى عبدالحميد،دار الكتب العلمية، بيروت،2003م، ج/2،ص/218

[35]- لسان العرب، ج13،ص/203

[36]- نفس المصدر، ج13،ص/203

[37]- الرائد،433

[38]- الجوهرى،الصحاح،مادة سجن

[39]- نفس المصدر،مادة حبس

[40]-ابن نجيم،زين الدين ابراهيم،البحرالرائق،دارالكتب العلمية،بيروت،1997م، ج/6،ص/475

[41]- الرفاعى يوسف، السجون في مصر في عصر المملوكى، رسالة ماجستير،كلية الداسات العليا الجامعة الأردنية،2008م،ص/17

[42]- البستانى بطرس، دائرة المعارف، ج/9،ص/508

[43]- السجون في مصر في عصر المملوكى، ص/6

[44]- البحر الرائق، ج/6،ص/475

[45]- http://ar.wikipedia.org/wiki

[46] Sheila Roberts, "South African prison literature," Johannesburg 1984 htt://ar.wikipedia.org/wiki

[47]- واضح الصمد،السجون وأثرها في الادب العربى،المؤسسة الجامعية للدراست والنشر والتوزيع، 1995م ، ص/214

50- نفس المرجع،ص/26.

[48]- Jawad boulos,les peules et les civilisation du proche orient tome 4- dar aouad- 1983, p/338

[49]- فرحات يوسف، شرح ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربى بيروت، 1994م،ص/107 في الادب الاندلسى،ص/177، 229-30-31ادباء العرب في الاندلس وعصر الإنبعاث، ص/134

[50]- شرح ديوان ابن زيدون،ص/106، أنظر: الذخيرة، ص/ 1-1/ 347،

[54]شرح ديوان ابن زيدون، ص/239-40-41، الذخيرة ،1-351/1، في الادب الأندلسى،226-27-28 - 54

[52]- عصر الدول والإمارات الأندلس/176، الذخيرة/354،زيّات،تاريخ الادب العربى/242،ديوان ابن زيدون/196،الاندلسي،على بن موسى بن سعيد، رايات المبرزين دار طلاس،دمشق،1987م،ص/121 المطرب/86، المغرب/20،

[53]- شرح ديوان ابن زيون، ص/280، الذخيرة ،1-345/1، في الادب الأندلسى،195،178، تمام المتون،27

[54]- شرح ديوان ابن زيون، ص/49، تمام المتون ،ص/18، المطرب،ص/86

[55]- شرح ديوان ابن زيون، ص/197—205، ادباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، ص/132-- 133

[56]- **أبو حفص بن برد:** هو أحمد بن محمد بن أحمد بن برد، مولى أبي عامر بن شهيد، المبدع في التشبيه والتمثيل والبارع في المحاكاة والتخيل من أهل بيت جليل، له رسالة في السيف والقلم، أنظر :المطرب ، ص/64، تمام المتون،ص/19

[57]- شرح ديوان ابن زيدون ، 138، الذخيرة، 1-359/1، أنظر: حامد كمال عبدالله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دارالمعالى ، دار التوزيع والتسويق الدولية، 2002م، ص/186، في الأدب الأندلسى،177، 224

[58]- شرح ديوان ابن زيدون ، 58،في الأدب الأندلسى،177، جمعة،أحمد خليل ،نساء من الأندلس ، اليمامة للطباعة والنشر بيروت،2001م،ص /451

المصادر والمراجع

1. ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق،احسان عباس،دار الثقافة بيروت،1997م
2. ابن سوده،أحمد،الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،دار اللامير للثقافة والعلوم،1995م
3. ابن عماد ، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد،شذرات الذهب،دار ابن كثير،دمشق،1988م
4. ابن منظور،لسان العرب،دار صادربيروت
5. ابن نجيم،زين الدين ابراهيم،البحرالرائق،دارالكتب العلمية،بيروت،1997م
6. الألمانى،يوسف،تاريخ الأندلس، مكتبة الخانجى، قاهرة،ط/2، 1996م
7. الاندلسي،على بن موسى بن سعيد، رايات المبرزين، دار طلاس،دمشق،1987م
8. البستانى بطرس،أدباء العرب في الاندلس وعصرالإنبعاث،دار نظيرعبود،بيروت،
9. البستانى بطرس،دائرة المعارف،مطبعة الادبية بيروت،1887م
10. الثعابى،عبدالملك،يتيمة الدهرفي محاسن أهل العصر،دارالكتب العلمية،بيروت،1983م
11. جبران مسعود،الرائد،دارالعلم للملايين،1992م
12. جمعة،أحمد خليل ،نساء من الأندلس ، اليمامة للطباعة والنشر بيروت،2001م
13. جودت الركابى،في الادب الاندلسى، دارالمعارف بمصر،1960م
14. جودة هلال،محمد محمود،قرطبة في تاريخ الاسلامى،دار العلم الملائين بيروت،1986 م
15. حافظ الذهبي، العبرفي اخبار من غبر،دارالكتاب العلمية،بيروت لبنان،ط/1، 1985م
16. حامد كمال عبدالله حسين،معجم أجمل ما كتب شعراء العربية،دارالمعالى،دارالتوزيع والتسويق الدولية، 2002م
17. الحجي،عبدالرحمان على، مع الأندلس،دارالقلم دمشق،ط/1، 1980م
18. الرفاعى يوسف، السجون في مصر في عصر المملوكى، رسالة ماجستير،كلية الداسات العليا الجامعة الأردنية،2008م
19. ريمة برقرق، شعرية الفضاء المغلق،رسالة ماجستير،كلية الاداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر الجمهورية الجزائر،8-2009م
20. الزركلى،خيرالدين،الأعلام، دار العلم الملائين،بيروت، 2002 م
21. زيات أحمد حسن،تاريخ الادب العربى،قديمى كتب خانه كراتشى،باكستان،2006م
22. شوقى ضيف، عصرالدول والإمارات الاندلس،دارالمعارف قاهرة
23. الصفدى،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية بيروت،1969م

24. الضعيدى،عبدالفتاح،معجم الادباء،دارالكتب العلمية،بيروت2003م
25. عنانى مصطفي،إظهار المكنون من الرسالة الجدية لإبن زيدون، مطبعة الرحمانية مصر،1927م
26. عنانى،محمد زكريا،تاريخ الادب الأندلسى،دارالمعرفة الجامعية، إسكندرية،1999م
27. الفراهيدى،خليل بن أحمد، كتاب العين، مرتبه الهنداوى عبدالحميد،دار الكتب العلمية، بيروت،2003م
28. فرحات ،يوسف، شرح ديوان إبن زيدون، دار الكتاب العربى ، بيروت، لبنان،1994م
29. قدَام سعيدة، من شعراء الغزل في الاندلس، مجلة الذخائر، الجزائر، 2002م
30. كامل كيلانى ، ملوك الطوائف،مكتبة عيسى السانى قاهرة،1933م
31. كولان ،الأندلس،دار الكتاب اللبنانى،بيروت،1980م
32. محمد عنايت الله، أندلس كا تاريخى جغرافية/مقتدره قومى زبان،اسلام اباد باكستان،1986م
33. النباهى، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن، تاريخ قضاة اللآندلس،دارالآقامة الجديدة،بيروت،لبنان، 1983م
34. هيكل أحمد،الادب الاندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة،دارالمعارف بمصر،1993م
35. واضح الصمد،السجون وأثرها في الادب العربى،المؤسسة الجامعية للدراست والنشر والتوزيع،1995م
36. الوراكلى،حسن،ياقوتة الأندلس،دارالغرب الأسلامى،1994م
37. يوسف فرحات، شرح ديوان ابن زيدون،دارالكتاب العربي،بيروت،1994م
38. Jawad boulos,les peules et les civilisation du proche orient tome 4- dar aouad-1983
39. Sheila Roberts,"South African prison literature"Johannesburg,1984
40. http://ar.wikipedia.org/wik